كنائس

نصارى بغداد في العهد العثماني

تأليف

رفائيل بابو إسحاق



كنائس

نصارى بغداد في العهد العثماني


www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

كنائس

نصارى بغداد في العهد العثماني

تأليف

رفائيل بابو إسحاق



الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

٢٠١٠م - ١٤٣٠هـ



الدار العربية للموسوعات

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان
ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 952594 5 00961 - فاكس: 459982 5 00961
هاتف نقال: 388363 3 00961 - 525066 3 00961 - بيروت - لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

كنيسة الأرمن الأرثوذكس

بقلم: رفائيل بابو إسحاق[*]

قبل عام (١٦٠٤م) قد حلّ في بغداد مدينة السلام قوم من الأرمن الكاثوليك والأرمن الأرثوذكس وأقاموا في محلّات الميدان والشورجة حيث كان النصارى يسكنون[١]. ثم أخذ على تمادي الزمن يزداد عددهم من القادمين من إيران أيام جلاهم قسراً الشاه عباس الصفوي الأول (المتوفى سنة ١٠٣٧هـ=١٦٢٧م) لأسباب سياسية فتجارية. ثم لحق بهم غيرهم من بلاد شتى ولا سيما من ديار بكر والأستانة، وعلى الرغم من قلَّة عددهم فقد عظم يومئذ أمرهم ونالوا من الثروة

(*) توفي المرحوم رفائيل بابو إسحاق بتاريخ ٦ آذار ١٩٦٤. وله بحثان هما:

١- الآرميون: لسانهم وقلمهم [سومر ٣ (١٩٤٧) ص٣١٨-٣٧٦].

٢- محلة الشَّماسية ببغداد في عهد الخلافة العباسية [سومر ٩ (١٩٥٣) ص١٣٢-١٥٤].

(١) طالع كتابنا تاريخ نصارى العراق (بغداد ١٩٤٨) ص ١٣٠.

والنفوذ ما لم ينلهما سواهم من نصارى العراق[1]. جاء في كتاب رحلات في الشرق لبيترمان (Petermann) وقد كتبه عام (١٨٥٠م) «ويرجع تاريخ الأرمن في بغداد إلى (٢٠٠) سنة ويحتمل أنهم أحفاد الأرمن الذين جاء بهم الشاه عباس إلى إيران لأن أكثرهم قدم إلى بغداد من جلفا وهمدان. وأن عدداً قليلاً منهم قدم من ديار بكر»[2].

وأيام حكمت الدولة الصَّفوية بغداد في دورها الثالث (١٠٣٢-١٠٤٨هـ= ١٦٢٢-١٦٣٨م) بنى النساطرة أول كنيسة في الزوراء في محلة كوك نزر الحالية أو محلة رأس الكنيسة. وقد بنوها في الدَّار التي كانوا يجتمعون فيها للقيام بواجباتهم الدينية. وتم بناؤها طبقاً لعاداتهم الشرقية على أسماء قديسين عديدين مضيفين إليها اسم السيد المسيح أو الثالث الأقدس أو مريم العذراء... فكانت الكنيسة المذكورة على اسم مريم العذراء وأربعة قديسين شرقيين هم: مار[3] يوحنان العربي ومار كيوركيس ومار قرياقوس ومار جبرائيل[4]. وفي رحلة الأب باسيفيك (Pacifique) أحد الآباء الكبوشيين حين أتى

---

(١) مجلة لغة العرب للأب أنستاس ماري الكرمَلي في بغداد ٣: ٥٤٠-٥٤١.

(٢) بغداد كما وصفها السواح (السُّياح) الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة تعريب سعاد هادي العمري (بغداد ١٩٥٤) ص٨٦.

(٣) مار: كلمة آرمية معناها السيد وتطلق على القديسين والبطاركة والأساقفة.

(٤) مجلة النور ٢: ٢٣.

بغداد سنة (١٦٢٩م) عائداً من إيران «وكان للأب جست (Juste) الكبوشي مقام كبير عند قسيسيهم[١] (قسيسي النساطرة) فإنه كان يذهب إلى كنيستهم فيصيرهم يصلون على الطريقة الرومانية. وقد عمد في يوم من الأيام مع القسيس سبعة أولاد بحسب الطقس[٢] الكاثوليكي. وكان عمر الأولاد يتراوح بين ثماني السنين والعشر». وورد في رحلة بولاي لوكوز أيام كان في بغداد عام (١٦٤٩م): «أن للنساطرة في بغداد كنيسة وقد وقعت عدة اختلافات بين قسيسيهم والآباء الكبوشيين..»[٣].

لم يكن للأرمن الأرثوذكس كنيسة في مدينة السلام. وقد أيد الرَّحالون الذين وافوا إليها في تلك الآونة. قال السائح تافرنيه (Tavernier) وكان في بغداد سنة (١٦٥٢م): «وعليّ أن أتكلم على نصارى بغداد. فمنهم نساطرة ولهم كنيسة ومنهم أرمن ويعاقبة (سريان أرثوذكس) وهؤلاء لا كنيسة لهم. وهم يجيئون إلى الآباء الكبوشيين فيوزعون عليهم

---

(١) القسّيس أو القسّ: كلمة مشتقة من الآرمية (قشيشا) بمعنى الشيخ. ولما كان الكهنة في صدر النصرانية ينتخبون من بين الشيوخ لاتّصافهم بالحكمة والخبرة وحسن الإدارة دعي الكاهن قسيساً أو قسًّا.

(٢) الطقس: كلمة آرمية الأصل معناها الترتيب أو النظام. وقد أطلقت على مجموع الصلوات والتضرعات المنسقة والمنظمة لأيام السنة كافة.

(٣) راجع مباحث عراقية ١: ٣٥٠-٣٥١.

الأسرار»[1].. وحكى فيبور الذي أتى بغداد سنة (١٠٧٨-١٠٨٨هـ= ١٦٧٦-١٦٧٧م): «وكان هؤلاء الناس (الأرمن) كأنهم من طائفة الآباء الكبوشيين لأن لا كنيسة لهم في بابل (بغداد) إلا كنيسة الآباء المار ذكرهم وفيها يقيمون صلاتهم بحسب طقسهم ويحضرون القداس ويقبلون الأسرار».

وقال أندري سوراس سيور دوفال: «إن الأرمن من النصارى يقدسون في كنيسة الكبوشيين وكنت يوم الفصح (١٦٩٥م) حاضراً في القداس وسمعته بحسب الطقس الروماني والطقس الأرمني». وأتى في رحلة بولس لوقاس الذي كان في بغداد عام (١٧٠١م) ما خلاصته: «أن الآباء الكبوشيين اضطروا مرة أن يتصعبوا في قبول الأرمن عندهم»[2].

ولما تولى الوزير أحمد باشا (المتوفى سنة ١٧٤٨م) رئاسة العراق حاصر ملك إيران نادرشاه بغداد. فدافع عنها الوزير أحمد باشا دفاع المستميت. فتضعضعت من جرّاء ذلك مالية الحكومة المحلية وأصاب خزينتها نقص كبير. ففرض ضرائب جديدة على سكان بغداد كافة. وأقام على جباية تلك

---

(١) Tavernier (J.B.): Les Six Voyages (Paris, 1713) Vol: I. p.293.

(٢) اطلب مباحث عراقية ١: ٣٥٠-٣٥١.

الضرائب وتحصليها الكهية[1] سليمان باشا (المتوفى سنة ١٧٦٢م). وكان في بغداد يوم ذاك رجل من ديار بكر ومن الأرمن الأرثوذكس يدعى نزر وهو اسم مقطوع من كلمة نزاريت أي الناصرة لأن الأرمن كانوا يسمون أحياناً بأسماء الأراضي المقدسة. غير أن اسمه الكامل والحقيقي كيورك نزاريت وربما (نزاريتيان) وهذا الاسم تطور شيئاً فشيئاً فأصبح مصحفاً بكوك نزر. وقد أطلق عليه وعلى المحلة التي كان يسكن فيها بالقرب من الكنيسة.

كان كيورك نزاريت سلاحدار[2] الوزير أحمد باشا وذا مقام رفيع لدى الحكّام والولاة. وفي سنة (١٧٤٤م) اتفق وصديقه الحميم الكهية سليمان باشا على أن يستولي أبناء طائفته الأرمن على كنيسة النساطرة الكِلدان مدَّعين أن لا حاجة لهم إلى كنيسة إذ دان معظمهم بإيمان الكاثوليك وأخذوا يترددون إلى كنيسة اللاتين. ولما كان الأرمن الأرثوذكس لا يملكون موضعاً للصلاة حق لهم أن يأخذوا كنيسة النساطرة الكِلدان وقد هجرها أصحابها وتركوها

---

(١) الكهية (تركية) تحريف كلمة كتخدا الإيرانية. وتطلق بوجه عام على الأمين والموظف الكبير. ثم أصبحت تعني الوزير الأول (لكل شيء) في حكومة الولاية التي يحكم فيها باشا من الباشوات (أربعة قرون ص٣٧٧).

(٢) السلاحدار (السلحدار): كلمة مركبة من العربية والفارسية أي صاحب السلاح أو القابض عليه (مجلة لغة العرب ٩: ٢٧٩).

وشأنها. فدفع الأرمن الأرثوذكس لقاء استيلائهم على الكنيسة المذكورة إلى الوزير أحمد باشا (٢٥) كيساً[١] وطفقوا يقيمون بين جدرانها صلواتهم الدينية. فامتعض النساطرة الكِلدان كل الامتعاض وهبّوا لاسترجاعها بكل غالٍ ورخيص. فجدُّوا وجمعوا مبلغاً من المال على الرغم من عوزهم ورفعوه إلى سليمان باشا، فأعيدت سنة (١٧٤٥م) الكنيسة المسلوبة إليهم. بيد أن الأرمن الأرثوذكس عادوا فَرَشوا أرباب المناصب العالية واغتصبوها ثانية.

واستمرت هذه الكنيسة تتناوبها أيدي الطائفتين المذكورتين مراراً. وقد بذل الخصمان الأموال الطائلة في المرافعة والمقاضاة. ثم تخلى الكِلدان عنها لأنهم لم يستطيعوا منافسة مناوئيهم وسئموا المحاكمة وهكذا أصبحت منذ سنة (١٧٤٦م) ملكاً للأرمن الأرثوذكس الذين كانوا أكثر نفوذاً وأوفر مالاً[٢].

استولى الأرمن الأرثوذكس على كنيسة الكِلدان ولا تزال بأيديهم إلى اليوم. وقد أسموها باسم العذراء مريم وهو اسمها القديم وحذفوا أسماء القديسين الأربعة. وقد دفن في داخلها سنة (١٨٠٩م) المطران هاكوبوس أحد القصَّاد الذين كان

---

(١) الكيس مبلغ من المال اختلف مقداره بحسب العصور.

(٢) عناية الرحمان في هداية السِّريان لديونوسيوس إفرام نقاشة (بيروت ١٩١٠) ص١٧٨-١٧٩.

بطاركة اجمياظين[1] يرسلونهم إلى الهند لتوزيع الميرون وجمع المساعدات لكرسيهم. ورمس فيها سنة (١٨٢٤م) الورتبيت فرتانيس أحد أولئك القصَّاد. وقُبر عام (١٨٣٢م) أوانيس بن بوغوس أحد جدود عائلة بوغسيان المعروفة في بغداد. وقد قيل إنه ذهب إلى استنبول واستحصل فرماناً من الباب العالي يؤيد فيها ملك الكنيسة لطائفته[2].

هذا ورمم الأرمن الأرثوذكس هذه الكنيسة مراراً عديدة غير أن المترددين إليها أخذوا يقلُّون لأنهم بنوا في محلة رأس القرية الكنيسة الجديدة الآتي ذكرها.

وقد وصف الميجر جورج كيبل (Keppel) الإنكليزي الكنيسة القديمة في كتاب سياحته وقد كان قد مرّ ببغداد سنة (١٨٢٤م) بعد عودته من الهند: «وجدد بناء تلك الكنيسة قبل زهاء (٧٢ أو ٧٣) سنة ورممت غير مرة. وأخذ يقلُّ عدد المترددين إليها بعدما بنى لهم الأرمن في محلة الشورجة (رأس القرية) سنة (١٨٥٢م) كنيسة جديدة كبيرة على اسم الثالوث الأقدس بحيث إنهم أصبحوا لا يقدِّسون في الكنيسة القديمة إلّا مرة واحدة في السنة وذلك في يوم الإثنين الذي يأتي بعد يوم الأحد الواقع فيه عيد انتقال العذراء إلى السماء.

---

(١) مجلة النور ٢ : ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٦٥.

لأن الأرمن من قرون عديدة يعيّدون العيد المذكور دائماً في يوم الأحد الأقرب لليوم الخامس عشر من آب».

***

وفي منتصف القرن التاسع عشر للميلاد عزم رؤساء ووجوه الطائفة الأرمنية الأرثوذكسية ولا سيما الوجيه مسروب وارتابيد على تأسيس كنيسة جديدة لهم[١]. فاستحصلوا سنة (١٨٣٨م) فرماناً من الأستانة وابتاعوا محلًّا واسعاً في محلة الشورجة (رأس القرية) كان داراً للمبشرين الإنكليز. وشرع أبناء هذه الطائفة يتبرعون بسخاء ليشيدوا كنيسة لائقة بهم. وفي ٢٢ كانون الثاني من سنة (١٨٥٢م) تمّ افتتاحها باحتفال باهر اشترك فيه الكثيرون من مختلف الطوائف النَّصرانية. وهي على اسم الثالوث الأقدس (سورب يرور نوطيون).

لقد رممت هذه الكنيسة مرات عديدة وبهمَّة أبنائها الغيارى أُلحق بها المباني الكثيرة ولا تزال قائمة إلى يومنا. قال بيترمان في رحلاته إلى الشرق التي سطرها سنة (١٨٥٠م): «ولهم (للأرمن الأرثوذكس) كنيستان إحداهما قديمة والثانية جديدة كبيرة. وكانت الأرض التي عليها الكنيسة الأخيرة محلًّا للمبشرين الإنكليز. ثم باعوها إلى

---

(١) نشرة الأحد للمنسنيور عبدالأحد جرجي في بغداد ٤ : ٨٣٣-٨٣٤.

جماعة الأرمن وهؤلاء بواسطة بطريرك الأرمن في الأستانة والسفير الإنكليزي لورد روكليف حصلوا على فرمان سنة (١٨٣٨م) لبناء الكنيسة. وفي الكنيستين قسّ واحد أعزب يسمى وارديب (Wardape) وقسَّان متزوجان. وفي ١٨ كانون الثاني - على حسابهم القديم - احتفلوا بعيد (إيناماس) فحضرت إلى الكنيسة الجديدة حيث أجريت في هذا العيد حفلات ولادة المسيح بحسب عاداتهم القديمة»[١]. وقال نيجهولت (Nijeholt) الذي وافى بغداد سنة (١٨٦٦م): «إن الطوائف النصرانية في بغداد عديدة. فهناك اللَّاتين والسِّريان والأرمن الكاثوليك والأرمن الأرثوذكس والكِلدان والرُّوم الكاثوليك. ولم يكن للكاثوليك في السابق سوى مصلّى صغير (Chapelle). ووجد في سنة (١٨٦٧م) كنيسة سريانية وكلدانية وأرمنية وكنيستان للأرمن الأرثوذكس. أما الروم الكاثوليك فكانوا يقدسون في الكنيسة السِّريانية»[٢].

---

(١) بغداد كما وصفها السُّواح (السُّياح) الأجانب ص٨٦-٨٧.

(٢) Nijeholt (L): Voyage Russie, au Caucase et en Perse; (Paris, 1877) Vol. III, p.164-166.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

كنيسة الآباء الكبّوشيين

في ١٠ آب من سنة (١٦٢٨م) وصل إلى مدينة السلام ثلاثة من الآباء الكبوشيين[1] الفرنسيين قاصدين إيران ليؤسسوا مركزاً دينيًّا لهم في أصفهان. فكان الأول منهم الأب جبرائيل (Gabriel de Paris) والثاني الأب باسيفيك (Pacifique de Provine) وأما الثالث فكان الأب جست (Juste de Blacevais). وقبل أن يغادروا بغداد استطاعوا أن يفتحوا مصلّى في إحدى دور النصارى بعدما استحصلوا الإذن من الحكام واحتفلوا في اليوم الخامس عشر من الشهر نفسه بقدّاس حضره جمع غفير من النساطرة والسِّريان الأرثوذكس والأرمن والرُّوم. وعلى أثر ذلك استحسن الآباء الكبوشيون أن يقيموا مقرًّا لهم في الزوراء. فأبقوا واحداً منهم فيها وهو الأب جست الذي جدَّ في اجتذاب النصارى إلى الكنيسة الكاثوليكية

---

(١) دعوا بالكبوشيين لأنهم يلبسون الكبوشيو (Copuccio) على رؤوسهم: وهي كلمة إيطالية بمعنى غطاء الرأس.

وقد نجح في مساعيه نجاحاً لا مزيد عليه[1]. أما الأب جبرائيل والأب باسيفيك فتركا بغداد متوجهين إلى إيران لينالا إذناً من الشاه عباس بفتح الرسالتين الواحدة في أصفهان والأخرى في بغداد. ففازا برغبتهما وعاد الأب باسيفيك إلى بغداد مزوداً بكتاب كتبه الشاه عباس إلى صفي قولي خان في ٢٨ تشرين الأول سنة (١٦٢٨م) يأذن فيه للكبوشيين أن يبنوا في بغداد داراً لهم[2].

لاقى الآباء الكبوشيون صعوبات جمّة أيام وافوا بغداد ولكنهم قد تغلبوا عليها فاشترى الأب جست سنة (١٦٣١م) داراً في محلة رأس القرية واتخذها له ولأبناء رهبانيته مأوًى وكنيسة. وكانت تلك الكنيسة على اسم القديس يوسف. وهي أول كنيسة شيِّدت في مدينة السلام بهذا الاسم[3].

وفي تلك الغضون قدم إلى بغداد أحد الآباء الكبوشيين فوجد أن إخوانه هم من المرسلين الأوروبيين الوحيدين فيها. وكان عددهم ثلاثة: أولهم الرئيس وهو يتفرغ للوعظ واستماع الاعتراف لأن الكاثوليك كثيرون من طوائف متعددة. والثاني وهو يعلّم في المدرسة اللُّغة الإيطالية واللّاتينية والأناشيد الكنسية. ومن عادة الكبوشيين أن يقيموا في كلّ عيد قداساً

(١) تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق ص٥.

(٢) مباحث عراقية ١ : ٣٥٢.

(٣) مجلة النور العدد ١٢ لسنة ١٩٥٠ ص٧.

يعظون في أثنائه. وأما الثالث فكان راهباً طبيباً يعالج الجميع بلا تفريق ولا تمييز. ويؤيد هذا كله الكاتب الإيطالي أوربانو جري (Urbano Cerri) فقال: «للكبوشيين في بغداد كنيسة ودير وقد أحرزوا نجاحاً عظيماً وفازوا بإعزاز واحترام المسلمين لمهارتهم الرائعة في الطب والرياضيات. والسِّريان والأرمن الذين دانوا بالكثلكة يترددون إلى كنيستهم وأولادهم يتلقون الدروس في مدرستهم وعدد النصارى في بغداد كثير جدًّا»[1].

عاش الآباء الكبوشيون في مدينة السلام في بحبوحة الراحة والسكينة وأخذ النصارى يترددون إلى كنيستهم ويقبلون الأسرار منهم. قال أحد الآباء اليسوعيين الفرنسيين بعدما مرّ ببغداد قادماً من الموصل في ١٩ نيسان سنة (١٦٧٥م): إن المرسلين الكبوشيين في بغداد حازوا راحة لا مثيل لها في أي مكان آخر من بلاد تركية». وقال الرَّحالة الفرنسي بول لوكاس (Paul Lukas) الذي دخل بغداد في ٧ أيلول سنة (١٧٠١م) وحلّ ضيفاً على الآباء الكبوشيين قال: ففي اليوم الثامن من شهر أيلول الواقع فيه عيد ولادة مريم العذراء تعجبت إذ رأيت أكثر من مائتي نسمة قد حضروا في الكنيسة لاستماع القدّاس الذي يحتفل فيه الآباء الكبوشيون في ذلك النهار»[2].

---

(١) تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق ص٧-٨.

(٢) المصدر نفسه ص٨-١٠.

غير أن الراحة التي كان يتمتع بها الآباء الكبوشيون في بغداد لم تستقرّ ولم تدم لأن السلطان مراد الرابع بعد فتحه بغداد سنة (١٦٣٨م) رفع جماعة من مناوئي الرهبان الكبوشيين عريضة إلى الفاتح يسترحمون منه أن ينزع الدَّير والمعبد من أيديهم لأنهما يجاوران قبر الشيخ محمد الأزهري[١]. فأجاب طلبهم وأخرج الرهبان منهما. بيد أنه أعادهما إليهم بمساعي ميخائيل آغا المعروف بالسنيور ميشيل (ميخائيل) الإيطالي مدير المدفعية العُثمانية في حلب والشام وبغداد. وكان قد أبلى بلاء حسناً في أثناء حصار بغداد. وفي سنة (١٦٣٩م) أيّد السلطان المذكور بفرمان سلطاني الدَّير المعبد للرهبان الكبوشيين كما أيد في سنة (١٦٥٥م) السلطان محمد الرابع حقوقهم[٢]. غير أن محمد باشا الخاصكي والي بغداد[٣] في سنة (١٦٥٨م) أمر بهدمهما لكونهما مجاورين لقبر الشيخ محمد الأزهري وأقام على أنقاضهما جامعاً يُعرف اليوم بجامع الخاصكي.

هذا وبعد شهر واحد ندم الوالي على عمله ولا سيما في

---

(١) راجع عن قبر الشيخ محمد الأزهري مجلة لغة العرب ٩ : ٦١٣.

(٢) نشرة الأحد ٤ : ٦٧٨-٦٧٩.

(٣) طالع عن جامع الخاصكي مجلة لغة العرب ٩ : ٢٧٨. وتاريخ مساجد بغداد وآثارها للسيد محمود شكري الألوسي تهذيب محمد بهجة الأثري (بغداد ١٣٤٦هـ) ص٣٧-٣٩.

أثناء مرضه إذ شفاه منه أحد الإخوة الكبوشيين. فأعطاهم داراً واسعة إزاء الجامع الذي ابتناه. وكان في تلك الدار سرداب واسع جعلوه كنيسة وأخذوا يكملون فيه رتبهم الدينية. أما الدار المذكورة فقد كانت في السابق محلًّا لبريد حلب ثم مقرًّا للسفير الإنكليزي مدير الشؤون لبريد شركة الهند الشرقية الوارد على طريق البصرة والفرات وموقعها اليوم أمام جامع الخاصكي وهي مقسومة إلى دارين إحداهما كانت لإسكندر غالب بن أنطون موسى والثانية ليعقوب سويدة. وكانت الدَّار الأولى مدفناً للآباء المذكورين. وحين عمّر إسكندر غالب داره الحالية وجد فيها مئات من الجماجم وهياكل العظام[1].

حلّ الآباء الكبوشيون في هذه الدار زهاء ثلاث وأربعين سنة وهم راضون يقيمون بين جدرانها الواجبات الدينية. وقد وافاها نصارى بغداد على اختلاف طوائفهم وتباين معتقداتهم. وكانوا يسمحون لهم بتأدية شعائرهم الدينية بحسب طقوسهم ولا سيما لمن لم يكن لهم كنيسة خاصة بهم[2].

---

(١) نشرة الأحد ٤ : ٦٧٩-٦٨٠ و٧٧٦.

(٢) تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق ص٩.


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

كنيستا الآباء الكرمليين
أو كنيستا اللاّتين

كان الآباء الكرمَليّون قد قدموا إلى البصرة في ٣٠ نيسان سنة (١٦٢٣م) يتقدمهم الرئيس الأب باسيليوس البرتغالي. وعند مروره بحلب زار بطرس هداية بطريك السِّريان الأرثوذكس (١٣٦٩-١٦٠٤م) وجد في رجوعه إلى البيعة الكاثوليكية. و لما وصل البصرة أخذ يكاتبه في هذا الشأن[١]. وكان البرتغاليون بعد سنة (١٦٢٢م) قد شادوا بيعة في البصرة في محلة سيمر لأنهم قد وجدوا فيها أقليات نصرانية[٢]. وفي عام (١٦٥٢م) بنى في البصرة أغناطيوس النائب الرسولي كنيسة كبيرة باسم العذراء مريم[٣]. ثم تركت بيعة البرتغاليين المار

---

(١) تاريخ الكنائس الشرقية للمنسنيور عبدالأحد جرجي (بغداد ١٩٢٢) ص٥٠.

(٢) أربعة قرون ص١١٥ و١١٩.

Gollanez (H): The settlement of the Ordor of Carmelites in Mesopotamia (London) (1927) p.329-330.

(٣) ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السِّريان للأب بطرس نصري (الموصل ١٩١٣) ٢ : ١٩٢.

ذكرها وبقيت بيعة الكرمَليّين فعيّن رئيسهم في سنة (١٦٧٩م) قنصلاً فرنسيًّا وسافر إلى إيران[1].

وكان في سنة (١٦٠٨م) قد مرّ ببغداد الأب الراهب بولس سيمون وهو يعد أول مرسل كرملي دخل هذه المدينة. وبعد مرور نصف قرن أي في سنة (١٦٥٧م) نجد راهباً آخر اسمه فيسنزو مارية يصف بعض المدن العراقية التي اجتازها في أثناء عودته من ديار الهند. وقد سافر من البصرة على طريق الفرات فدوّن في رحلته كل ما شاهده من الأماكن والبقاع[2] وتؤيد الأخبار أن البابا إقليميس الثامن أوفد سنة (١٦٠٤م) ثلاثة من الآباء الكرمَليّين إلى بلاد العجم عن طريق البر، ألمانية فروسية فالقوقاس «وكانت البعثة في هذه الأقطار هي الرسالة عينها التي تأسست في أصفهان عام (١٦٠٩م). وكان الكرمَليّون قد وصلوا الهند قبل أربع سنوات وسرعان ما تعددت مراكزهم في ملبار وانتشروا بعد ذلك على سواحل الخليج الفارسي»[3].

وفي سنة (١٦٢٨م) نصِّب الأب برناردي وال الكرمَليّ أسقفاً على بابل (بغداد) ونائباً رسوليًّا لمدينة أصفهان باسم

---

(١) أربعة قرون ص١١٦.

The Settlement of the Ordor, of Carmelites in Mesopotamia, p.334.

(٢) نشرة الأحد ٤: ٧٦٦-٧٦٧.

(٣) خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية للكردينال أوجين تسران تعريب المطران سليمان الصائغ (الموصل ١٩٣٩) ص١٧٦.

جان. غير أن حاكم بغداد لم يأذن له وللآباء الكرمَليّين أن يدخلوها. فاضطر هو وخلفاؤه أن يسكنوا أصفهان. ولما أقيم الأب عمانوئيل الكرمَلي أسقفاً على بابل سنة (١٦٤٢م) سمح له أن يقطن بغداد[١].

وفي سنة (١٦٢٨م) تبرعت امرأة مسيحية تقية تدعى ماري ريكوار (Marie Ricouard) بوقف نقدي قدره ستة آلاف روبل إسباني[٢] لنشر الكثلكة في بلاد الشرق. فخصّص البابا إربانس الثامن ريع هذا المبلغ لأساقفة الأبرشية[٣] اللّاتينية البابلية بشرط أن يكون مطرانها فرنسيًّا وأن يقيم في كرسيه. وإذا فرغ هذا الكرسي من راعيه حكم البابا بيوس السابع في ١١ حزيران سنة (١٧٨١م) أن ينفق ريع هذا الوقف على شرقيي هذه الأبرشية نفسها[٤].

أما رسالة بغداد للآباء الكرمَليّين فقد أُسست نحو سنة (١٧٢١م) يوم دخلها يوسف مارية وارله الكرمَلي الفرنسي (المتوفى سنة ١٧٤٢م) وهو أول نائب رسولي للرسالة الكرمَلية وكان مركز إدارته في بغداد. غير أن النصارى لم يجسروا على إيوائه في دورهم خوفاً من الوشاة. فبقي مدة

---

(١) نشرة الأحد ٦ : ٢٢-٢٣. وذخيرة الأذهان ٢ : ١٩٣.

(٢) يقابل الروبل الإسباني الباوند الإنكليزي.

(٣) الأبرشية : كلمة يونانية الأصل يراد بها ولاية الأسقف الكنسية.

(٤) ذخيرة الأذهان ٢ : ١٩٣-١٩٤.

ثماني سنوات يتنقّل تارة إلى ديار بكر وأخرى إلى البصرة أو يسكن في مدينة السلام بعيداً عن الأنظار حتى هرب إلى حلب واستقرَّ فيها. فأرسل عوضه في أواخر عام (١٧٢٨م) الأب عمانوئيل بايه (Baillet) الكرمَلي نائباً رسوليًّا. فنزل دار أحد الكاثوليك في بغداد. فوشي به إلى الحاكم فأمر بسجنه. ولما صار خبره لدى سفير فرنسا سمّاه قنصلاً لدولته في بغداد. فأُطلق سراحه وشرع يعظ ويعلّم[١]. ثم سافر إلى بنديثيري من أعمال الهند وطلب من حاكم هذه المدينة أن يزوده برسالة إلى والي بغداد أحمد باشا (١٧٣٦-١٧٤٨م) ليأذن له بإقامة دار للآباء الكرمَليّين. فنال أمنيته وكان قد ابتاع سنة (١٧٣١م) داراً في محلة سوق الغزل من رجل اسمه عبد الله عبدالعزيز بن كرومي الكِلداني. فرمَّمها وأصلحها وأنشأ فيها معبداً صغيراً على اسم مار توما الرسول. ثم بإذن من روما جعله على اسم مار توما الرسول ومار يوسف خطيب العذراء وأقيم أول قدّاس فيه في ١٤ تموز من السنة نفسها. وكان هذا المعبد يقع في سرداب مدرسة القديس يوسف الذي أشغله مدة مديدة الطلاب للمطالعة. وقد هدم الآن وأصبح قسم منه باباً يؤدي إلى فناء الكنيسة والمدرسة المذكورة. وبعد حين وسع هذا المعبد الأب إغناطيوس المرسل الكرمَلي من ماردين الذي

(١) تاريخ نصارى العراق ص١٢٨. وعناية الرحمان ص١٧٨.

دبّر رسالة بغداد باسم نائب مؤقت كما وسعه الأب ولفانج. وبقيت هذه الكنيسة عامرة زهاء أربعين ومائة سنة. وقد رمِّمت عدة مرات وأقام فيها الكِلدان والسِّريان وغيرهم صلواتهم وعمّدوا أبناءهم إذ لم يكن لهم كنيسة[١]. واستمرّوا على هذه الحال حتى شرعوا يبنون لهم كنائس خاصة بهم. أما الآباء الكرمَليون فكانوا يسكنون في الدار الواقعة إزاء هذه الكنيسة وكانت تعود قبل سنوات إلى السيد عبدالأحد اسطيفان. ففي سردابها الأرضي نفق يؤدي إلى سكرستيه[٢] (Sacristie) الكنيسة. وقد خصّصت في الأزمنة الأخيرة لتهيئة الحبر، يوزّع على الطلاب أيام يمارسون الخط.

وكان الوشاة يذيعون من وقت إلى آخر أن الآباء الكرمَليّين يغرون النصارى الشرقيين على تغيير جنسيتهم. ففي ٢٥ من شهر آب سنة (١٧٣٧م) في أثناء صلاة الصبح دخل دير الآباء المذكورين رجال بزِيِّ الأعراب أرسلهم الكهية سليمان

---

(١) نشرة الأحد ٤ : ٧٦٧-٧٦٨ و٦ : ٢٢-٢٦. ومختصر حوادث الزمان في تاريخ أبرشية بغداد للسِّريان اعتنى بوضعه وضبطه المنسنيور عبدالأحد جرجي السِّرياني (سنة ١٩٢٨) وهو مخطوط محفوظ في مكتبة المطرانية السِّريانية الكاثوليكية في بغداد (ص٢١-٢٢).

(٢) كلمة دخيلة بمعنى مخزن الأمتعة المقدسة. وقد دعيت لدى كتبة اللُّغة الآرمية (بيث دياقون) أي البيت الخاص للشَّمامسة حيث يرتدون الحلل الدينية وتحفظ فيه الأواني المقدسة والألبسة الكنسية.

باشا فختموا الدَّير بختم الحكومة وساقوا الأب عمانوئيل بايه ومن معه من الكاثوليك إلى السجن حيث بقوا يومين ولم يطلق سراحهم إلّا بمساعي المستر داريل (Darelle) الإنكليزي وكيل شركة الهند الشرقية في بغداد بعدما دفعوا مبلغاً باهظاً من المال[1].

وفي سنة (١٧٤٤م) أيام استولى الأرمن الأرثوذكس على كنيسة النساطرة والكِلدان في الميدان هبّ أصحابها لاسترجاعها. وكان المرجع الأول في تلك الأحوال الأب ليانذر الكرمَلي الذي اشتهر إذ ذاك في بغداد بفنون مهارته بالطب وشدة غيرته الرسولية. فطلب الكهية سليمان باشا منه أن يدفع النساطرة والكِلدان لقاء ذلك خمسة وعشرين كيساً. فأخذ الأب ليانذر يجمع المبلغ المطلوب مع رفيقه الأب فيدال ولكن لم يتهيأ لهما جمع أكثر من واحد وعشرين كيساً لأن وجوه النساطرة أبوا أن يكملوا المبلغ. فعوّل حينئذٍ الأب ليانذر على السفر إلى همدان ليتملص من المسؤولية ويتنصل بشرف من الوعد الذي وعد به سليمان باشا. فغادر بغداد ثم اضطر أن يرجع إليها حيث شاهد اضطهاد الكاثوليك قد استفحل لأن كيورك نزارت سلاحدار أحمد باشا وشى ثانية بالآباء الكرمَليّين مدّعياً أنهم قد صيروا النصارى الشرقيين

---

(١) مجلة النور ٢ : ٨٧.

عربيين. وتعهد أن يقدِّم مائة كيس إلى الخزينة إذا رضي أحمد باشا بنزع كنيسة الآباء المذكورين من أيديهم ويسلمها إلى الأرمن. فزج سليمان باشا في السجن زهاء أربعة وأربعين شخصاً من وجوه الكاثوليك ومن بينهم القس مقصود الموصلّي الكِلداني. ثم استدعى الأب ليانذر فزجره وأهانه بالكلام فخرج من عنده خائفاً. ولم تمض مدة حتى حضر نائب القاضي مع أحد رجال الحكومة وبلغا أمر أحمد باشا بإخراج الآباء الكرمَليّين من مسكنهم ومن الكنيسة وختماهما بختم. فبقي الآباء بدون مأوى فأسكنتهم في بيتها الصغير امرأة مسيحية اسمها بربارة وبقوا فيه إلى مساء اليوم الثاني. بيد أن الأب ليانذر تمكّن من إحباط مساعي الوشاة وإخماد نيران الاضطهاد وذلك على يد أخت الوزير أحمد باشا التي أمرت برفع الختم عن مأوى الآباء الكرمَليّين وكنيستهم وإعادتهما إلى أصحابهما وإطلاق سراح السُّجناء الكاثوليك بعدما قاسوا من الضيق مدة خمسة أيام. ثم أمر أحمد باشا كهيته سليمان باشا أن يجدد صداقته مع الأب ليانذر فاستقبله أحسن استقبال وأكرمه كل الإكرام وهدد بالضَّرب كل من يزعج الآباء الكرمَليّين[1].

واستمرت الرسالة الكرمَلية تخدم طوائف بغداد الشرقية خدمات جليلة. غير أنها قد أغلقت سنة (١٨٢٥م) ثم فتحت

---

(١) مجلة النور ٢: ٨٩-٩٠ و١٣٥-١٣٦.

أبوابها سنة (١٨٣٨م). وفي ٨ أيلول من عام (١٨٤٨م) رُفعت أبرشية بابل اللَّاتينية إلى مقام المطرانية. وفي سنة (١٨٧٤م) فصلت أبرشية أصفهان عنها وعهدت إلى القصادة الإيرانية[١].

أما مؤسس كنيسة القديس يوسف الحالية الواقعة إزاء الكنيسة القديمة فهو الأب الرئيس يوسف (جوزيف) مارية (المتوفى سنة ١٨٩٨م). فقد وافى بغداد سنة (١٨٥٨م) ووجد كنيسة الآباء الكرمَليّين ضيقة جدًّا. فرحل إلى أوروبا سنة (١٨٦٤م) يجمع تبرعات لإقامة كنيسة كبيرة جديدة. وفي سنة (١٨٦٥م) عاد إلى بغداد وأخذ يشيّد الكنيسة وقد ساعده أحد نصارى بغداد السيد المعروف حنوش جبرائيل أصفر. فقدم له مبلغاً ليكمل ما كان ينقصه. فاشترى دوراً صغيرة ملاصقة بالكنيسة القديمة وهدمها. ثم شق أسس الكنيسة ووضع فيها الحجر الأول باحتفال عظيم في ٢٠ أيار سنة (١٨٦٦م). وبعد خمس سنوات تمّ البناء في سنة (١٨٧١م) وأقيم في السنة عينها أول قدّاس بين جدرانها[٢]. وهي على هيئة صليب ويبلغ ارتفاع قبتها اثنين وثلاثين متراً[٣]. ودفن فيها مؤسسها في مدفن الآباء

---

(١) ذخيرة الأذهان ٢: ١٩٤ و٤٤٤

(٢) نشرة الأحد ١٠/ ٧٠٤-٧٠٩. ومختصر حوادث الزمان في تاريخ أبرشية بغداد للسِّريان ص٢٢.

(٣) منارة جامع سوق الغزل أعلى من هذه القبة ثلاثة أمتار (مباحث عراقية ١: ١٤٧).

الكرمَليّين. وقد نُصب فيها تماثيل عديدة وعُلّق على حيطانها صور فريدة وصُبغت بأصباغ خلّابة تأخذ بمجامع القلوب.

وفي أوائل آذار من سنة (١٩١٧م) اتخذ الجنود العثمانيون هذه الكنيسة مستشفى. ولما غادروها احترقت شرفتها الخشبية الواقعة في داخلها وكادت النيران تلتهمها كلها لولا الهمّة التي بذلها جماعة من ذوي الفضل في إطفاء تلك النيران. وفي عام (١٩٢٣م) رُمّمت جدرانها الخارجية ودُهن داخلها بالأصباغ الزاهية وهي لا تزال قائمة إلى يومنا.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

كنائس الكلدان

رأيت في صدر هذا الكتاب أن الأرمن الأرثوذكس اغتصبوا كنيسة النساطرة الكِلدان الواقعة اليوم في محلة كوك نزر. ولمّا يئسوا من استرجاعها وهبَت سنة (١٧٤٦م) حمام إحدى النساء الكِلدانيات التقيات دارها الواسعة لأبناء طائفتها ليقيموا فيها كنيسة ومسكناً للكهنة. وقد صادق على تلك الهبة والي بغداد[١] وكانت تلك الدار مجاورة لكنيسة النساطرة المغتصبة. فهدموها وبنوها بيعة وطفقوا يؤدون فيها واجباتهم الدينية وأسموها باسم مريم العذراء. ثم أتوا بذخيرة من ذخائر القدِّيسة مسكنتة التي استشهدت مع ابنيها في ٢٥ أيلول سنة (١٤٤٧م) في كرخ سلوخ[٢] فتغلّب اسم القديسة مسكنتة على

---

(١) عناية الرحمان ص١٧٩.

(٢) كرخ سلوخ منحوتة من اللُّغة الآرمية (كرخا دبيث سلوخ) أي مدينة أو حصن سلوقس. وسميت اليوم كركوك مختصر كرخ سلوخ. ودعيت أيضاً باسلوخ والكرخ (راجع كتابنا مدارس العراق قبل الإسلام (بغداد ١٩٥٥) ص١٠٩-١١١.

هذه الكنيسة كما تغلّب هذا الاسم على الكنيسة التي استولى عليها الأرمن الأرثوذكس ولا يزال العامَّة إلى الآن يسمونها بهذا الاسم. ومن الكهنة الذين خدموا كنيسة الكِلدان الجديدة القسّ مقصود الموصلّي (المتوفى سنة ١٧٦٥م) والقسّ إلياس والقسّ فرجو والقسّ عبدالمسيح والقسّ يوسف هندي الموصلّي (المتوفى سنة ١٨٠٨م).

وفي غضون سنة (١٧٩٨م) حدث حريق في الكنيسة التي اغتصبها الأرمن الأرثوذكس فزعموا أن الكِلدان قد أحرقوها. ثم وشوا بهم لدى الوزير سليمان باشا الكبير (المتوفى سنة ١٨٠٢م). فعرض عليهم غرامة باهظة أبوا أن يدفعوها أو لم يتمكنوا من دفعها. فأمر حينئذٍ بأن تنهب كنيستهم وتهدم فأصبحت خراباً. ثم تركوها وأخذوا يترددون إلى كنيسة الآباء الكرمَليّين. أما كتبها الطقسية وغير الطقسية فأودعت الحكومة قسماً منها في القلعة الداخلية التي تعرف اليوم بمقر وزارة الدِّفاع. والقسم الباقي ترك مطموراً تحت الأنقاض والتراب. جاء في حاشية كتاب القنصل الفرنسي جان فرنسواز روسان (Roussan)[1] وقد طبع في باريس سنة (١٨٠٩م) ما يأتي: «كان للكاثوليك أيضاً (يعني بهم الكِلدان) كنيسة خاصة بهم.

---

(١) كان قنصلاً فرنسيًا في بغداد والبصرة من سنة (١٧٧٢م) وقد دعا كتابه (Description du Pashalik de Baghdad) وهذه الحاشية مسطورة في الصفحة الحادية عشرة.

غير أنها هدمت قبل بضع سنوات لحسد غير الكاثوليك لهم. فبدسائسهم وهداياهم وهباتهم إلى أرباب المناصب العالية استطاعوا أن تأمر الحكومة بتخريب تلك الكنيسة وهدمها»[١].

ظلّت الكنيسة الخربة في قبضة الحكومة وهي تشرف عليها إلى سنة (١٨٠٩م) حيث قيض الله عبوش آغا ترزي باشي[٢] بن إلياس آغا ترزي باشي الأسيدي لاستخلاص كتبها المودعة في مقر وزارة الدفاع الحالية والمطمورة تحت الأنقاض. وكان إلياس المذكور أرمنيًّا أرثوذكسيًّا من ديار بكر. قد دان بالكثلكة على يد النائب البطريركي مار يوحنان هرمز الكِلداني. أما عبوش فكان رئيس الخياطين الخاص بالوزير سليمان باشا الكبير وخلفائه وهو عم إلياس والد سيدي امرأة الكونت جبرائيل أصفر.

استخلص عبوش آغا كتب الكنيسة المتهدمة وسلّمها إلى القس يوسف الكركوماسي الذي وافى بغداد سنة (١٨٠٨م) وبقيت الكنيسة مدة طويلة بدون بناء. فاضطر أبناؤها أن يبيعوها للأرمن الأرثوذكس وأصبحت وقفاً من أوقافهم. ثم بنوها بيتاً تسكن فيه عائلات فقيرة الحال[٣]. أما اليوم فلم يبق له أثر إذ أدمج في شارع الجمهورية ببغداد.

---

(١) راجع مجلة النور ٢ : ٢١٤.

(٢) ترزي باشي كلمتان تركيتان معناهما رئيس الخياطين.

(٣) نشرة الأحد ٤ : ٨٠٠. ومجلة النور ٢ : ٢١٢-٢١٥.

لمّا هدم سليمان باشا الكبير الكنيسة المذكورة، أخذ الكهنة الكِلدان يصلون في كنيسة الآباء الكرمَليّين أو في دار من دور أبناء طائفتهم ولا سيما في دار القسّ يوسف الكركوماسي الواقعة إذ ذاك في محلة العاقولية. غير أن استياء قد حدث في سنة (١٨٣٧م) بين رؤساء الطائفة الكِلدانية ورئيس الطائفة اللّاتينية السيد لورنس تريوش الذي كان شماساً[١] في خدمة المطران زكريا اللاتيني (المتوفى سنة ١٨٣٠م) وقد أقيم مطراناً بدله. أما سبب الاستياء فإن السيد لورنس تريوش أمر أن يتناوب الكهنة الشرقيون في تأدية صلواتهم وعيّن لكل طائفة يوماً معلوماً. واتفق أن في أحد الأيام المعينة للسِّريان قد توفيت المرأة الكِلدانية صفو (صوفية) ابنة أنطون أوفي وهي زوج داود نعيم الأولى. فجيء بالنعش إلى الكنيسة وطفق الخوري عبد الله السِّرياني يتلو القدّاس بحسب طقسه. فامتعض الكِلدان وحملوا النعش إلى إحدى الدور حيث صلى عليه كهنة الطائفة الكِلدانية[٢].

فعزم إذ ذاك النائب البطريركي الكِلداني السيد بطرس دي ناطالي[٣] (المتوفى سنة ١٨٦٧م) ووجوه طائفته على اتخاذ

(١) الشَّماس: كلمة آرمية النجار (شماسا) بمعنى معاون الكاهن في أثناء القيام بشؤون الخدم الكهنوتية.

(٢) نشرة الأحد ٤: ٨٠١-٨٠٢.

(٣) كان المطران بطرس من خسرو. وقد أرسل إلى مدرسة انتشار الإيمان في =

مصلّى خاص بهم. فاشتروا لهذا الغرض الدار الواسعة العائدة إلى كوركيس بن يوسف فرج وأخيه سليمان (المتوفى سنة ١٨٣١م) وكانت تلك الدار واقعة مقابل كنيسة الكِلدان الحالية وأصبحت اليوم روضة أطفال بإدارة الراهبات الكِلدانيات.

وفي أثناء سنة (١٨٣٨م) شاد السيد بطرس دي ناطالي المصلَّى على اسم مريم العذراء (أم الأحزان) وكان سقفه وعواميده من خشب. وقد نقل إليه جثمان البطريرك يوحنان هرمز (المتوفى سنة ١٨٣٨م) لأنه قضى نحبه في دار الكرمَليّين.

* * *

وبعد مرور ثلاث سنوات وشهرين على بناء المصلَّى المار ذكره استحسن أبناء الطائفة الكِلدانية أن يشيدوا كنيسة أجمل وأوسع منه. ففي سنة (١٨٤٢م) شرعوا يهدمون المصلَّى ويؤسسون في موضعه الكنيسة الجديدة على اسمها القديم. وفي سنة (١٨٦٠م) اشترى القس بطرس بن شمعون رسام قطعة أرض صغيرة من ورثة مركوس إسكندر وأدخلها في الكنيسة الجديدة فطالت بضعة أمتار. ثم أقام فوق تلك القطعة غرفاً لتلاميذ المدرسة. وفي غضون سنة (١٨٦٢م) تبرعت

= روما وأقيم فيها سنة (١٨٣٠م) كاهناً. أما اسمه الحقيقي فالسيد بطرس كيوركيس بريلدا. فترجم (بريلدا) إلى الإيطالية بدي ناطالي.

لوسي مضبوط (المتوفاة سنة ١٨٨٨م)[١] بمبلغ ابتاعوا به دار السيد محمد بن علي الحكيم باشي ابن السيد عبدالباقي وألحقوها بساحة الكنيسة المذكورة فصار لها باب آخر من جهة الشمال. ومن الكهنة الذين كانوا في بغداد وخدموا طائفتهم الكِلدانية القسّ بطرس برتتر والقسّ دميانوس يوحنا الراهب الألقوشي والقس ميخائيل بن أنطون أوفي وغيرهم كثيرون[٢].

* * *

وفي سنة (١٨٨٨م) وافى بغداد بطريرك الكِلدان مار إيليا عبو اليونان فحث كهنته ووجوه الطائفة أن يبنوا كنيسة أخرى واسعة. لأن الكنيسة المذكور اسمها أعلاه قد باتت ضيقة لا تستوعب أبناء الطائفة الكِلدانية الذين ازداد عددهم بالقادمين من أنحاء الشرق ولا سيما من مدينة الموصل وقراها.

جدّ كلدان بغداد في هذا المسعى الجليل فاشتروا دار ورثة مفاك كسبر خان وورثة أنطوان كسبر خان التي كانت ملاصقة بساحة الكنيسة المار ذكرها. ثم أدمجوا فيها دار فتح الله كسبر خان التي ابتاعها سنة (١٨٨١م) الخوري يعقوب نعمو. وفي ١٧

(١) ولدت لوسي سنة (١٨٠٨م) وكانت ابنة يوسف مضبوط بن الشماس أنطون ابن عمانوئيل. وكان أبوها من ديار بكر أتى إلى بغداد بعد منتصف القرن الثامن عشر للميلاد.

(٢) اطلب مجلة النور ٢ : ٢٧١-٢٧٣ و٣٠٣-٣٠٦.

آذار من سنة (١٨٨٨م) وضع البطريرك المشار إليه الحجر الأول باحتفال لا نظير له. وقبل أن يغادر بغداد خوّل وكيل الأوقاف الكِلدانية يوسف فرج أن يسحب المبلغ المودع في بنك بمبي (New Bank of Bombay Limited) ليصرف على تعمير الكنيسة. وكان المبلغ المذكور ثمانية آلاف روبية قد أضافتها لوسي مضبوط المتقدم ذكرها إلى وصيتها المؤرخة في ١٤ آب سنة (١٨٧١م) للصلاة عن نفسها وأنفس إخوتها عمانوئيل ومنصور ودميانوس. وأمر غبطته لقاء ذلك بأن تخصّص الكنيسة وقفاً لهم الدار التي كانت قد اشترتها سنة (١٨٧٤م) من السيد محمد بن علي الحكيم باشي بن السيد عبدالباقي وعمرتها بمالها. ثم أصدر منشوراً يؤيد فيه ذلك الوقف الذي سجل باسم لوسي وإخوتها. وقسمت وارداتها إلى ستة أقسام أحدها إلى الفقراء وأما الأقسام الخمسة الباقية فتقام بها القداديس.

بيد أن بناء الكنيسة الحالية لم يتم إلّا في سنة (١٨٩٨م). فقد وصل بغداد البطريرك العلّامة مار جرجيس عبد يشوع خياط (المتوفى سنة ١٨٩٩م)[١]. وفي ٢٧ تشرين الثاني من السنة نفسها قدّسها باحتفال لم يسبق له مثيل في مدينة السلام بمؤازرة السيد هنري ألتماير القاصد الرسولي والسيد إغناطيوس نوري رئيس أساقفة بغداد على السِّريان الكاثوليك

---

(١) طالع عن ترجمته كتابنا تاريخ نصارى العراق ص١٤٩-١٥٠. وتاريخ الكنيسة الشرقية للأب ميشيل يتيم (حلب ١٩٥٧) ص٢٠٢.

والسيد جبرائيل أدمو رئيس أساقفة كركوك الكِلداني. وبعد سنين قلائل ظهر تفسخ في جدرانها فطوّقها السيد رزوق عيسابي المهندس البغدادي من الغرب والشرق بطارمات عريضة ومساند ضخمة من الطابوق فزال بذلك خطر سقوطها. وقد رممت وصبغت مرات عديدة وهي لا تزال إلى اليوم محافظة على اسمها القديم مريم العذراء (أم الأحزان) وتعد من أكبر كنائس العراق وأنفق عليها زهاء اثني عشر ألف ليرة عثمانية وتحتاج الآن إلى ترميمات وإصلاحات كثيرة[(١)].

وقد دفن في هذه الكنيسة المطران ميخائيل نعمو (المتوفى سنة ١٨٩٥م) والبطريرك جرجيس عبد يشوع خياط (المتوفى سنة ١٨٩٩م) والخوري ميخائيل بحو (المتوفى سنة ١٩١٦م) والقسّ حنا (يوحنا) مقصود (المتوفى سنة ١٩٢٩م).



(١) نشرة الأحد ٤ : ٨٠٢-٨٠٣. ومجلة النور ٢ : ٣٥٥-٣٥٧.

كنيسة السِّريان الأرثوذكس

استوطن السِّريان الأرثوذكس بغداد بعد بنائها. وقد وافى إليها البطريرك يوسف (المتوفى سنة ٧٩٢م) لتفقد شؤونهم. فحظي بالبراءة من الخليفة وطاف بيع المشرق. ونزل بغداد البطريرك ديونيسيوس الخامس (المتوفى سنة ١٠٧٨م) يرافقه المفريان[١] يوحنا الرابع (المتوفى سنة ١١٠٦م) فنال البراءة بحقوقه. وأتاها البطريرك إثناسيوس السابع (المتوفى سنة ١١٢٨م) ففاز بالبراءة تأييداً لرئاسته. ولمّا دخلها المفريان غريغوريوس خرج لاستقباله وجوه الطوائف وأشراف المدينة. وزار الجاثليق مكيخا الثاني (المتوفى سنة ١٢٦٥م) فأنعم عليه بحلّة ثمينة. وفي سفرته الثانية عام (١٢٧٧م) احتفى به الجاثليق

(١) المفريان جمعها المفارنة: كلمة آرمية الأصل تعني المثمر إشارة إلى رئاسته التي تولد الأساقفة. ويطلق هذا الاسم على صاحب رتبة كنسية تعادل رئيس الأساقفة الأول. قال المطران توما أورو في مجمعه (١ : ٣١٩): «المفريان في الاصطلاح الكنسي المطرابوليط الكبير أي رئيس الأساقفة الأول».

دنحا (المتوفى سنة ١٢٨١م). فأنفذ لاستقباله أساقفته وأشراف طائفته ولدى زيارته زاد في إكرامه[١]. أما المفارنة والمطارنة والأساقفة فكانوا يترددون إلى مدينة السلام لزيارة أبناء شعبهم فجدُّوا الجدَّ كلَّه في خير تقدمهم وسعوا كل السعي لتأسيس بيعهم.

لقد ترك السِّريان الأرثوذكس بغداد وبعد مدة رجعوا إليها مع سائر الطوائف النصرانية وبلغ عددهم أربعين عائلة[٢]. فشادوا كنيسة في أطراف محلة الميدان الحالية حيث كان يسكن معظم النصارى. وقد جاء ذكرها في سجلات الآباء الكبوشيين في الأستانة تحت حرف م رقم ٩٣[٣]. غير أن هذه الكنيسة اغتصبت بعدما عادت بغداد ثانية إلى العثمانيين أيام فتحها السلطان مراد الرابع في سنة (١٦٣٨م) ثم حوّلت جامعاً[٤].

---

(١) ذخيرة الأذهان ١ : ٣٧٧ و٤٨٨ و٥٢٠ و٢ : ٦٤.

(٢) تاريخ الكنائس الشرقية ص٥١.

(٣) نشرة الأحد ٤ : ٨٢٧.

(٤) مجلة النور السنة الأولى العدد الثاني عشر ص٦-٧. ونشرة الأحد ٤ : ٦٧٦.

كنيسة السِّريان الكاثوليك

كان في بغداد عام (١٧١٥م) زهاء عشرين شخصاً من السِّريان الكاثوليك. وفي عام (١٧٣١م) أضحوا مائة وخمسين ولم يكن لهم كاهن يدبر شؤونهم. وفي سنة (١٧٨٣م) أتى من الموصل البطريزك إغناطيوس ميخائيل جروة (المتوفى سنة ١٨٠١م) إلى بغداد على أثر وشايات كاذبة ضدّه. فلاذ بواليها سليمان باشا الذي وقف على براءته وزوّده بتوصية إلى حاكم الموصل وأرسله إلى مركز إقامته بكل إعزاز وإكرام. وكان غبطته إذ ذاك قد حلّ ضيفاً كريماً لدى الآباء الكرمَليّين مدة ستة أشهر وعهد إليهم أمر أبناء طائفته بكتاب سطَّره في ٣ حزيران سنة (١٧٨٥م). أما بغداد فكانت تابعة لأبرشية الموصل[١].

---

(١) نشرة الأحد ٤ : ٨٢٧-٨٢٩. ومختصر حوادث الزمان في تاريخ أبرشية بغداد للسِّريان ص٢٢-٢٣.

نصب السيد قورلس بنهام بشارة (المتوفى سنة ١٨٢٨م) أسقفاً على الموصل وما يليها. فطفق يتردد من وقت إلى آخر إلى مدينة السلام. فقد وافاها سنة (١٧٩٨م) وأقام فيها كاهناً الشّماس عبدالكريم بن حنا عبدالنور وعاد به إلى الموصل بعدما جاءها في سنة (١٨١٣م) وفي سنة (١٨١٧م) واهتم بأمور أبناء رعيته. فأرسل إليها كهنة من الموصل ومن قرية قرقوش إذ لم يكن لهم كاهن إلى سنة (١٧٨٥م). ومن أقدم القسوس البغداديين للسِّريان الكاثوليك القس يوسف البان (١٧٩٧-١٨٠٤م) والقسّ يوسف سكمان «سكمن» (١٨٥٥-١٨٩٩م) الذي خدم طائفته في بغداد وطنه زهاء أربع وأربعين سنة[١].

وكان السِّريان الكاثوليك يعرفون إلى تلك الآونة لدى الولاة والحكام بالسِّريان الأرثوذكس. فطالبوا الحكومة العثمانية بحقوق طائفتهم فأيدتها بفرمان في سنة (١٨٣٨م) وخوّلتهم أن يشيدوا كنيسةً خاصةً بهم. وبعد وفاة الأسقف فوركس المذكور أقيم مطراناً على أبرشية الموصل وما يليها السيد عيسى محفوظ (المتوفى سنة ١٨٥٥م). فأتى الزوراء سنة (١٨٣٨م) ومكث فيها ثلاث سنوات. وفي سنة (١٨٤١م) أتاها ثانية وجدَّ في تأسيس كنيسة لطائفته. فابتاع في شهر كانون

---

(١) مختصر حوادث الزمان في تاريخ أبرشية بغداد للسِّريان ص٢٦. وتاريخ دير سيدة النجاة أي دير الشرفة للخوري إسحاق أرملة السِّرياني (لبنان ١٩٤٦) ص١٣٥ و٢٤٢-٢٤٣.

الأول من سنة (١٨٤١م) الدَّار الواقعة في الدَّرب الشرقي المؤدي اليوم إلى مدخل الكنيسة السِّريانية الحالية. وقد ابتاعها بخمسة آلاف قرش وقفتها لوسي ابنة قسطنطين بن حنا دانا التاجر الكِلداني الآمدي. وهي الدار الأولى من الدُّور التي أقيمت في محلها الكنيسة الأولى. وفي التاسع من الشهر عينه أخذ سيادة المطران عيسى محفوظ يبني من تلك الدار الأولى الكنيسة الأولى للسِّريان الكاثوليك في بغداد. وأنجز بناءها وقدسها في اليوم الأول من كانون الثاني من سنة (١٨٤٢م). وفي اليوم الثاني من الشهر نفسه أقام بين جدرانها أول قداس ودعاها باسم مريم العذراء المحبول بها بلا دنس وعلّق صورتها فوق المذبح. وكان طولها ثلاثين ذراعاً وعرضها ست أذرع، أما ارتفاعها زهاء ست أذرع ونصف ذراع.

وبمرور الزمن ازداد عدد السِّريان الكاثوليك في مدينة السلام، فأراد البطريرك أنطون سمحيري (المتوفى سنة ١٨٦٤م) أن يفصل بغداد عن أبرشية الموصل. فأقام أسقفاً عليها في سنة (١٨٦٢م) المطران إثناسيوس روفائيل جرخي (المتوفى سنة ١٨٩٠م) وهو أول أساقفة بغداد للسِّريان الكاثوليك[1].

جدّ المطران روفائيل جرخي كل الجدّ في أمور طائفته

---

(١) راجع عن ترجمته تاريخ دير سيدة النجاة أي دير الشرفة ص٢١٨-٢١٩ وعناية الرحمان ص٥٨٩ و٥٩٣ و٥٩٦ و٦٤٦ و٦٤٨-٦٤٩.

وبذل الغالي والرخيص في سبيل تقدمها. فعزم أن يشيد كنيسة جديدة معتمداً على سخاء أبناء رعيته. فابتاعوا دوراً ملاصقة بالكنيسة القديمة. وكان المطران عيسى المذكور قد اشترى دار يوسف المازديني بالمبالغ التي وقفتها تريزة امرأة يوسف حبش رضيعة المرحوم توما أندريا. ومن الدور التي ابتاعوها: الدار التي كانت تعود إلى إحجو الموصلي، والسيد العاني، والدار العائدة إلى عائلة عبود والدار العائدة إلى حاني بنت نوح. ثم أضافوا إلى تلك الدُّور زهاء أربعة أذرع من بيت كسبرخان وقطعة أرض صغيرة من دار سركيس بهلوان ودمجوها في فناء الكنيسة[1].

لقد شرع سريان بغداد الكاثوليك يشيدون كنيستهم في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني من عام (١٨٦٢م) وقد أدخلوا فيها الكنيسة القديمة القائم عليها اليوم الهيكل والسكرستية. وأنجزوا بنيانها في السادس من كانون الأول عام (١٨٦٣م) وفي مساء اليوم عينه قام بتقديسها المطران جرخي واشترك في هذا الحفل سائر الطوائف النصرانية. وفي اليوم التاسع أقام سيادته القداس فيها. وقد ورد في ورقة مسطورة بقلم سيادة المطران المذكور نفسه يقول فيها: «لما كانت كنيسة الأبرشية السِّريانية في بغداد صغيرة وصغيرة جدًّا

---

(١) نشرة الأحد ١٥: ٢١٥-٢١٨.

وغير كافية لتجمع الشعب في الأيام الرسمية التزمت بأن أخربها وأجدد عمارتها. وقد زدت في توسيعها ثلاثة أضعاف عمّا كانت سابقاً»[١].

امتازت كنيسة السِّريان الكاثوليك في بغداد بزخارف بنائها ونقوش جدران هياكلها. أما بابها الواقع في وسط الكنيسة فهو في غاية الإتقان والدِّقة. اشتراه من ديار الهند ودفع نفقاته السيد إلياس ججو (جرجيس) روشا. ولا تزال هذه الكنيسة باقية إلى اليوم.

وقبر في فناء الكنيسة الخارجي الخوري إيليا ابن القسّ متى القرقوشي الذي أقامه كاهناً الأسقف قورلس بهنام بشارة المتقدم ذكره. ولما توسم فيه الخير أرسله إلى بغداد حيث نصَّبه خوريًّا لِيَسُوس طائفته السِّريانية ولا سيما في أثناء غيابه منها. وقد انتقل إلى جوار ربه وعمره زهاء الخمس والسبعين سنة. ولُحد في جانب القسّ عبد الله. وترك ابنين هما بهنام ومتّى. فبهنام توفي مصاباً بالطاعون في قرية قرقوش، أما أخوه متّى فجاء إلى بغداد وأنجب بنين وبنات تتألف منهم اليوم أسر الخوري[٢].

---

(١) نشرة الأحد ١٥ : ٢١٧-٢١٨. ومختصر حوادث الزمان في تاريخ أبرشية بغداد للسِّريان ص٣٢ و٣٤.

(٢) نشرة الأحد ٤ : ٨٢٩-٨٣٢ و١٣ : ٢٨٠ و٦٩٠، ومختصر حوادث الزمان في أبرشية بغداد للسِّريان ص٣١-٣٢.

بقي القسّ عبد الله والخوري إيليا مقبورين عند الدَّرج المؤدي سابقاً إلى الطابق الأعلى من الكنيسة القديمة ومن المدرسة السِّريانية الإقدامية. ولما أُدخل الدَّرج المذكور في البناء الجديد الحالي الذي يسكنه الكهنة نقّل في سنة (١٩٣٢م) رفاتهما باحتفال عظيم إلى داخل الكنيسة السِّريانية الحالية.



كنيسة الأرمن الكاثوليك

في سنة (١٨٠٥م) أرسل البطريرك الأرمني غريغوريوس بطرس الخامس كوبيليان (١٧٨٨-١٨١٢م) إلى بغداد الدَّير[١] خوكاس الأرضرومي (المتوفى سنة ١٨٢٣م) ليقف على شؤون طائفته، فاشترى بمساعدة التاجر أوانيس بن استفاظادور بن كسبر بزركانباشي وبأموال البطريرك غريغوريوس المار ذكره داراً كبيرة وأخرى صغيرة ملاصقة بها. وكان موقعهما في محلة سوق الغزل في الموضع الذي تقوم فيه كنيسة الأرمن الكاثوليك الحالية. ثم هدمت الدار الصغيرة وأضيفت إلى الكبيرة فأصبحت داراً واحدة اتخذها الكهنة مسكناً ومصلّى يقيمون رتبهم الدِّينية في إحدى غرفها المبنية في الطابق الثاني.

وفي سنة (١٨١٠م) ترك الدَّير خوكاس بغداد وسافر إلى مدراس فأرسل عوضه سنة (١٨١١م) الدير إيساهاك ميكايليان

---

(١) الدير: كلمة أرمنية بمعنى السيد أو الكاهن أو القسيس.

الأرضرومي (المتوفى سنة ١٨٢٨م). فكان كاهناً غيوراً خدم النصارى خدمات جمّة ولا سيما أبناء طائفته فلقّب برسول بغداد العامل. وفي سنة (١٨٢١م) وافى مدينة السلام الدَّير أسطيفان بن أنطون فيتسمادنيان الأنقري. فأخذ يهذب أولاداً من مختلف الطوائف ويعلّمهم في المصلَّى القراءة والكتابة ومبادئ الحساب. ثم جدّ في ابتياع دور مجاورة لمسكنه ملاصقة بالمصلَّى. فقد ابتاع في ٢٣ تموز من سنة (١٨٢٧م) داراً صغيرة من حبيبة ابنة حسين شيشجي، وابتاع داراً ثانية خربة في ٣ آب سنة (١٨٢٧م) تعود إلى محمد بن علي طوسلي سعى لبيعها قاضي بغداد إبراهيم زاده مصطفى لأن صاحبها كان غائباً من بغداد مدة مديدة، وابتاع داراً ثالثة في ٢٤ تشرين الثاني من سنة (١٨٢٨م) من السيد أحمد ابن السيد إلياس ومن السيد أحمد بن عبد الله حوير.

وممن اشترى الدُّور قصد إدخالها في بناء كنيسة واسعة الدير كرابيت بن أوانيس مصرفيان. فقد اشترى في ١٧ آب من سنة (١٨٢٩م) داراً واسعة مجاورة للدور السابقة من تاكوهي ابنة آرتين خان. واشترى في ٨ أيار من سنة (١٨٤١م) التاجر الإستنبولي كريكور بن إبراهام أوغرلي زاده داراً ملاصقة بالدُّور المتقدم ذكرها من مريم بنت يعقوب بن قورغي ووقفها للكنيسة.

وفي سنة (١٨٣٥م) أرسل إلى بغداد الدَّير كريكور

أسدفاظا دوريان (المتوفى سنة ١٨٤٣م). فاجتهد مع وجوه طائفته في إقامة الكنيسة الحالية. فنالوا سنة (١٨٤٠م) البراءة السلطانية ووضعوا حجرها الأول في ٢٦ كانون الثاني من سنة (١٨٤١م). فأدمجوا في بنائها الدُّور التي ابتاعها الكهنة الذين سبقوا مجيء الدير كريكور إلى بغداد كما أدمجوا فيها قسماً من الدار المجاورة لها العائدة إذ ذاك إلى يوسف بن عبدالواحد جوخجي (أوساني) وابنيه حنا وتوماس وزوجته شموني بنت داود ترزي باشي.

وفي سنة (١٨٤٣م) وافى الزوراء الدير توما بصمجيان البغدادي (المتوفى سنة ١٨٧٥م) فسعى لإنجاز الكنيسة. وقد أتمها في ٢١ تشرين الثاني سنة (١٨٤٤م). وكانت قد شيِّدت في أول الأمر على اسم أم المخلِّص غير انه قد أبدله باسم سيدة الانتقال. وفي مساء ٢٣ كانون الأول من تلك السنة قدَّسها باحتفال عظيم المطران السِّرياني عيسى محفوظ. ويقال إن نفقات بنائها بلغت ألف ليرة عثمانية وإن بانيها الأوسطة بندر.

وفي عام (١٨٨٣م) فتح الدير فيلبس مفاكيان البغدادي (المتوفى سنة ١٩١٧م) عدة شبابيك في جدران الكنيسة وجدد أبوابها ومذابحها وبلَّط أرضها بمرمر استحضره من الموصل وأقام عليه (طارمة) في آخرها وزين حيطانها بأدهان ونقوش وزخارف. وقد أبقى صورة سيدة الانتقال الكبيرة التي في أعلى المذبح الكبير. وهي من تصوير إسكندر بن أنطون

رفوبودا البغدادي مولداً والجيكي أصلاً. وكان قد صوّرها في سنة (١٨٥٨م). وفي مساء الخميس الواقع في ١٤ آب من عام (١٨٨٤م) جدد تكريس الكنيسة السيد روفائيل جرخي رئيس أساقفة السِّريان في بغداد. وفي اليوم الثاني قدَّس فيها الدير فيلبس المار ذكره. بيد أن الشبابيك التي فتحت في جدران الكنيسة ضعضعت متانتها فانحنى قليلاً الجدار الجنوبي منها إلى الوراء وأصاب طوق الكنيسة شيء من الشقوق. فخاف الدير فيلبس عاقبة تلك الحال، فأسند جدران الكنيسة بأربعة مساند ضخمة من الطابوق. وكان الواقف على تصاميمها المهندس الفرنسي تورنيه (Tournier) وهي لا تزال قائمة إلى يومنا. وأقدم من دفن فيها الدير كريكور والدير توما المتقدم ذكرهما(١).



---

(١) تاريخ الأرمن الكاثوليك في العراق ص١٨-٣٣. ونشرة الأحد ٥ : ٥١-٥٢.

فهرس المحتويات

